



السلامة والسعادة

(001) سورة الفاتحة

محاضرة في الأردن

2024-04-22

عمان

الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين. اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا، وزدنا علماً وعملاً مُتَقَبَّلاً يا رب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم، إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

الناس جميعاً لهم مطلبان أساسيان هما السلامة والسعادة:

وبعد أيها الإخوة الأحباب: فإنّ الناس جميعاً، في كل زمان وفي كل مكان، وعلى اختلاف انتماءاتهم، وأعرافهم وأنسابهم، يشتركون في شيء واحد، وهو أنّهم جميعاً بلا استثناء، لهم مطلبان أساسيان، فكلّ من الناس يبحث عن سلامته وعن سعادته، كل الناس، فمن يحثه عن سلامته يتجنّب كل ما يؤذيه، هب أنك تريد أن تعبر الشارع ومَرّت سيارةٌ مسرعة، فإنك تعود فوراً، هذا من بحثك عن سلامتك، هب أنه قيل لك إنّ هذا الدواء مُصَيَّرٌ فإياك أن تأخذه، فإنك تتركه، مثلاً.

الناس يبحثون عن سلامتهم فيتجنّبوا ما يؤذيه، وفي الوقت نفسه يبحثون عن سعادتهم، فيأتون كل ما يُدجّل البهجة إلى قلوبهم، فإذا قيل له هذه السهرة لطيفة فيها أصدقاء، فيها لهو، فيها شيء يُبهج النفوس، يذهب إليها، يبحث الإنسان عن سلامته وعن سعادته.

والحقيقة أنّ الناس عموماً مُتَحَبِّرون في أسباب السلامة والسعادة، كثيرون مثلاً يجدون سعادتهم في المعاصي والآثام، ما ذاق غيرها فهو يعرف أنّ سعادته في دور اللهو مثلاً، التي لا تُرضي الله تعالى، أو في مالٍ يكسبه من حلالٍ أو من حرام، لا فرق عنده، يجد سعادته هنا.

المسلم بحث عن السلامة والسعادة في مطائهما، ما معنى في مطائهما؟ يعني الذي يبحث عن اللؤلؤ في الصحراء، يبحث عن اللؤلؤ في غير مطائهما، فلن يصل إليه، لأن اللؤلؤ لا يمكن أن يوجد في الصحراء، اللؤلؤ يحتاج أن تغوص في أعماق البحار، فمن يبحث عنه في الصحراء، سيعود خالي الوفاض، أمّا من يبحث عن الشيء في مكانه، فيمكن أن يصل إليه، فالمسلم بحث عن السلامة والسعادة في مطائهما، بمعنى أنه رجع إلى الخبر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۗ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِنِزَارِكُمْ ۗ
وَلَا يُتَبَّنَكُ مِثْلَ خَبِيرٍ (14)

(سورة فاطر)

فالله تعالى هو الذي خلقنا، وهو الذي رزقنا، وهو أعلم بما يُسَلِّمنا، وبما يُسعدنا، فإذا أخذت منه المعلومة فوراً، بأنَّ سلامتك في كذا وسعادتك في كذا، فقد وقَّرت الجهد الكبير في البحث، يعني أنا الآن في هذه الغرفة فَقَدْتُ هاتفي، والغرفة فيها أشياء كثيرة، ربما اختفى الهاتف تحت أحدها دون أن أشعر مثلاً، فعندي طريقتان للهاتف، إمَّا أن أبحث وقد يستغرق نصف ساعة، وإمَّا أن أسأل فيقول لي أحدهم هنا الهاتف، أنت وضعته هنا ونسيت، فالطريقة الأسرع أن أسأل، فيُخبرني الخير بالمكان، والطريقة الأطول والأعقد أن أبحث بنفسي، وقد أصيل وقد لا أصيل، لذلك في القرآن الكريم في سورة الملوك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10)

(سورة الملك)

الإنسان إمَّا أن يسمع وإمَّا أن يعقل:

يعني لو أصخنا السمع للأنبياء، لأهل العلم، لمن عندهم خبرة، كانوا أعطونا المعلومة فوراً، أو لو بحثنا عنها بعقول صافية، بشكل صحيح لوصلنا إليها فما وصلنا إلى النار، فالإنسان إمَّا أن يسمع وإمَّا أن يعقل، إمَّا أن يُخبره أحد، أو أن يبحث بنفسه، فالهسلم لَمَّا أراد أن يصل إلى السلامة والسعادة اختصر الطريق في أنه سأل عنها الخير، والخير هو الله، (وَلَا يُبَيِّنُكَ مِثْلَ خَبِيرٍ) فهو جلَّ جلاله أعلم بما يصلح عبده، وأعلم بما يُسلمه وأعلم بما يُسعدده.

الأخر قضى وقته ينتقل، السعادة بالمال جمع مالاً، فلَمَّا وصل إليه قَدَّ بعضاً من صحته، فما استمتع بالمال، ثم قال ليتني أفقِدُ مالي كله وتُعَاد لي صحي، وفي اللحظة التي طرأَ النَّ السعادة كلها في الصحة، امتلاً فتوةً وشباباً، فلم يجد مالا يُتَّفِقُ منه لِيُحَقِّقَ ما يظنه سعادةً، يعني ما اجتمعت له الأسباب الخارجية التي تُحَقِّقُ سعادته، وقيل له السعادة في تحقيق الشهوات، فذهب من بيت لهو إلى بيت لهو والعباد بالله، ليرجع بعد نهاية المعصية واللذة بقلبٍ مُنْقِضٍ، كسير، ضعيف، دليل أمام شهوته، والبعض قيل له السعادة في الشهرة، فأصبح مُعْتَبَراً لامعاً أو مشهوراً، ولَمَّا بلغ من الشهرة ما بلغ، وجد نفسه لم يُحَقِّق شيئاً من السعادة، وإنما زادت الشهرة هماً وضيقاً، فهو يبحث لكن لم يصل، المسلم قيل له، أخير بنص الكتاب الحكيم والسنة النبوية، أن سلامتك في اتباع منهج ربك، بمعنى أنك إذا أتيت ما أمر الله، واجتبت ما نهى الله عنه، فأنت في سلام، سلام مع نفسك، مع الكون من حولك.

حسناً هناك مصائب؟ طبعاً يوجد مصائب، لا تخلُ الدنيا، لكن سلامتك الحقيقية، الأبدية، هل هناك أعظم من السلامة من النار؟ أعظم سلامة أن ينجو الإنسان من نار جهنم، فإذا طرأَ أنه قد تسلّم من كل مرض في الدنيا، ثم بعد الموت إلى نارٍ لا ينفذ عذابها فهل تسلّم؟ لا والله.

أقصر طريق للسلامة والسعادة هو اتباع منهج الله تعالى:

فالمسلم أخير بأنَّ السلامة في أن تتبَّع منهج الله، فإذا اتبعت منهج ربك فأنت في سلام، وأخير أن سعادتك في طاعة الله، في عملٍ صالحٍ تُدْخِلُ به سروراً على قلب مسلم، في الرضا عمَّا أعطاك الله، أخير بذلك خبراً أيضاً، فتسلم وتعيد في الدنيا والآخرة.

فأقصر طريقٍ للسلامة والسعادة هو منهج الله تعالى، اتباع المنهج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ۖ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38)

(سورة البقرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ۖ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا بَصَلُ وَلَا يَسْقَى (123)

(سورة طه)

لا يخاف ممَّا هو آت، ولا يحزن على ما مضى، ولا يصل عقله ولا تشقى نفسه، فما فاته من سعادة الدنيا أو الآخرة شيء.

قيل وهذا ذكره ابن الجوزي رحمه الله، قال: "مشقة الطاعة تذهب ويبقى ثوابها، ولذة المعصية تذهب ويبقى عقابها"، رمضان انتهى، انقضى من خمسة عشر يوماً تقريباً، كان فيه مشقة؟ طبعاً، الطاعة لها مشقة، ولماذا سُئِمَ التكليف تكليفاً؟ لأنَّ فيه كلفة، يعني ليس سهلاً على النفس، فرمضان انقضى، فيه مشقة؟ نعم فيه مشقة، الآن كلنا ماذا نذكر من مشقة رمضان؟ لا شيء، ما الذي بقي؟ الثواب إلى أبد الأبد، جنة يدوم نعيمها، والذي أفطر في رمضان، ونام الليل في رمضان، حقَّق لذة، يعني استلذَّ بالنوم، واستلذَّ بالطعام، والناس مُمتنعون عن الطعام، انقضى رمضان على الطائع وعلى العاصي، انقضى على الطرفين، لكن مشقة الطاعة ذهبت وبقي الثواب، ولذة المعصية انقضت لكن بقي العقاب، والعباد بالله.

الصلاة فيها مشقة، كلفة، صلاة الفجر مثلاً على وجه الخصوص، استيقاظ من الفراش الوثير لا سيما في ليالي الشتاء الباردة، التوجه للوضوء، إذا الصلاة في المسجد في مشقة أكبر، والثواب أعظم، نذهب إلى المسجد، انقضى النهار، الناس جميعاً ناموا مساءً وانتهى، تعب النهار انقضى، لكن بقي ثواب الطاعة، وبقي عقاب المعصية.

فالإنسان العاقل يُركِّز على ما يبقى، لا على ما يفنى، الحاج يذهب إلى الحج، الحج فيه تعب وتَصَبُّ وسهر وطواف وسعي وازدحام، وبعد انتهاء موسم الحج، انقضى الموسم، بما فيه من مشقة، بقي الثواب.

{ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، } **** رَجَعَ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ. { ****

(صحيح البخاري)

{ الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَقَارَةِ لِمَا بَيْنَهُمَا، } **** وَالْحَجُّ الْمَتْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ. { ****

(أخرجه البخاري ومسلم)

فإذاً كل شيء يمضي، اليوم إخواننا في عزة نسأل الله أن يُفَرِّج عنهم، هناك مَنْ يعيش مشقة الطاعة، بما فيها من فقد الأحباب، تدمير المنازل، صعوبة الحياة، بعض الجوع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
{ **** وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ } **** وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155)

(سورة البقرة)

ذاقوا كل ذلك، ما الذي بقي؟ **(وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)**، فالذي صبر بقي له البشري، والذي ضعف وخان الأمانة، انقضى عليه أيضاً هذا الجوع، أو هذا الشَّيْءُ إن أطعموه، لكن ما الذي بقي له؟ عقاب الخيانة، كل الدنيا هكذا، الدنيا كلها تمضي، فإما أن يبقى الثواب، أو أن يبقى العقاب.

{ مَا أُنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عِبْدٍ نِعْمَةً، فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَيْهَا، إِلَّا كَانَ ذَلِكَ أَفْضَلَ مِنْ تِلْكَ النَّعْمَةِ وَإِنْ عَظُمَتْ } ****

(الألباني السلسلة الضعيفة)

يعني أنا شربت كأس ماء، وقلت الحمد لله، كأس الماء انقضى، شربته وارتويت به، دخل ثم خرج انتهى، لكن الحمد عندما انتهيت من الماء وقلت الحمد لله، ثواب الحمد إلى يوم القيامة، فالماء أفضل أم الحمد؟ الحمد **(ما أنعم الله على عبدٍ نعمة، فحميد الله عليها، إلا كان ذلك أفضل من تلك النعمة)**، لأن الحمد على النعمة يبقى، أمّا النعمة فتفنى، الحمد على النعمة هو بقاء مع المُنعم، أمّا الانشغال بالنعمة، فالنعمة فانية، فانشغل مع من يبقى لا مع ما يفنى.

الطاعة تذهب وتبقى سعادتها والمعصية تذهب ويبقى عقابها:

كل شيء في الدنيا يمضي، هذا حال الدنيا، يوم أمس مضى علينا جميعاً، من أطاع الله فيه فذاك اليوم سيشهد له يوم القيامة، والعباد بالله من عصا الله فيه، فهذا أيضاً يومه انقضى بلذته لكن سيبقى العقاب.

فعود على بدء، نحن نطلب السلامة والسعادة، والسعادة لا تكون إلا في رضا الله، والسلامة لا تكون إلا في اتباع منهج الله، كلاهما لا يكون إلا في ما يُرضي الله تعالى، أمّا الآخرون، الفلاسفة بحثوا عن السعادة في طروحاتهم، والمادّيون في مادّيتهم، والاشتراكيون في اشتراكيّتهم، وكل واحد بحث، وبالمنااسبة اليوم كل الناس والدنيا كلها منشغلة بإصلاح أشياء الإنسان، يعني اليوم شركات ضخمة جداً من أجل أن تخرع لك هاتفاً، أول شيء كان ازرار تضغط الزر، بعد ذلك أصبح اللبس، ثم أصبح بيمصه العين، وفي المستقبل يمكن أن تُفكّر بالرقم فيتصل الهاتف به، يفدّمون لك الراحة، بعد ذلك هناك حَقَام (توابل عربي) وبعد ذلك أصبح إفرنجي، ثم أصبح له ازرار، شيء للصوت وشيء لحرارة الماء، فالدنيا كلها مُنْشِغَلَةٌ بأن تُصلح لك أشياءك اليوم، أن توقّر لنا أكثر مقدار من الرفاهية والراحة، فالسيارة رفاهية، كانت نوافذها تعمل يدوياً بالفتويل، ثم أصبحت بكبسة زر، فوجدوها صعبة فأصبحت إلكترونية، فكل شيء يقوموا بتحديثه من أجل إصلاح الأشياء، وهذه الأشياء كلها فانية، يعني هناك مبالغة اليوم بإصلاح الأشياء، ولا مانع من إِيُّ الإنسان يتنعم، أحياناً أيضاً كل شيء زاد عن حدّه انقلب إلى صده، أصبح هناك مساوئ على صحة الإنسان، وعلى حركته بسبب هذه الرفاهية، لكن من ذا الذي يهتم بإصلاح الإنسان لا بإصلاح أشياءه، فلة قليلة، من هو الذي يُفكّر أنه أنا بذاتي وأصلح أشيائي، وأصلح نفسي لتكون صالحة للعرض على الله يوم القيامة، هؤلاء فلة، أسأل الله أن تكون منهم، يعني نحن أن نكون يقنّ يُصلح نفسه ويطهرها، بإصلاح أبنائه، بإصلاح أسرته، بإصلاح موظفيه، بإصلاح التشرّ أصعب من إصلاح الأشياء بكثير، لذلك الناس تركوه واهتموا بإصلاح الأشياء، لأنه صعب.

فيا أيها الإخوة الأحياء: مفاد هذا اللقاء ونحن قريبوا عهد بشهر رمضان، والآن نوصم بفضل الله عز وجل، بيتاً من شوال

{ من صام رمضان وأتبعه بستاً من شوال فكأنما صام الدهر }

(أخرجه الطبراني ومسلم)

وورد في حديث أبي داود بسند صحيح، تفسير ذلك بأن صيام الشهر بعشرة أشهر، ثلاثون بعشرة ثلاثمائة، وصيام السته بعشرة، ستين، أي ثلاثمائة وستون يوم، فإذا كثر ذلك كل عام، كان كمن صام الدهر كله، وكأنه ما أفطر، ربنا خلقنا لتريح عليه، لا ليربح علينا، فقال لك ضم ستة وثلاثون يوم، أعطيك ثلاثمائة وستون يوم، يعني عرض، اليوم نحن إذا شاهدنا بالجملة عرض، واحد مع واحد بنفس السعر، نقول اذهبوا واشتروا، يعطون على القطعة قطعة، لم يعط أحد على القطعة عشرة أبداً، إلا ربنا على اليوم عشرة، فنحن في طاعات ولله الحمد، فمناسبة اللقاء بعد رمضان، هو هذه المناسبة، أن ما يبقى من الطاعة هو سعادتها، وما يبقى من المعصية هو عقابها، أمّا العاصي يجد لذائذ، أكيد، ولو كان لا يجد اللذائذ، لما كان للتكليف معنى، أي لو أن المعصية لم يكن بها لذة، لتركها الناس جميعاً، لذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال:

{ الدُّنْيَا سَجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ }

(أخرجه مسلم)

لا نقول لا يوجد لذائذ بالمعصية، طبعاً هناك لذائذ، لكن أنا دقيق بكلمتي، أقول لذائذ لا أقول سعادة، نريد أن تبقى السعادة للطاعة، مفهوم شرعي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُودٍ (108)

(سورة هود)

الفرق بين اللذة والسعادة:

أولئك شقوا، فالسعادة يقابلها الشقاء، الشقاء أن يستحق الإنسان النار، والسعادة أن يستحق الجنة، أمّا اللذة، هي شيء طارق، ما الفرق بين اللذة والسعادة؟ اللذة شيء يأتي من الخارج، السعادة شيء ينبع من الداخل، أي أن اللذة إذا واحد جلس بعرفة مغلقة وما معه شيء أبداً، مستحيل أن يشعُر باللذة، يقول لك ضعوا لنا طعام حلو، طرف آخر، امرأة، منصب ومكتب وهاتف، وإئتمُر تُعطى، يحتاج إلى شيء، هذه لذة، تحتاج إلى أشياء خارجية تُدعّمها، من الداخل لا يوجد لذة إذا جالس وحده، السعادة تنبع من الداخل، يعني ممكن إنسان يجلس في السجن ويكون سعيداً، كحال يوسف عليه السلام، وممكن أن يكون بالغار ويكون سعيداً

{ قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِي الْغَارِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَنْظُرُ إِلَى قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ فَقَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ

{ مَا طُتُّكَ بَاتْنَيْنِ اللَّهُ تَالُتُهُمَا

(أخرجه بخاري ومسلم والترمذي وأحمد)

ويمكن أن يكون في بطن الحوت:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَدَا التُّونَ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ****فَقَاتَلْ فِي الطُّلَمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
سُبْحَانَكَ ****إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87)

(سورة الأنبياء)

وفي النار إبراهيم وجد السكينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ **إِبْرَاهِيمَ (69)**

(سورة الأنبياء)

فالسعادة من الداخل، لذلك كان يقول ابن تيمية رحمه الله، وهو في سجنه وقد ذاق السجن، يعني لا يقولها كلاماً بكلام، وإنما يقولها من واقع عاشه، كان يقول: " **ماذا يفعل أعدائي بي، بُسْتَانِي فِي صَدْرِي إِنْ أْبْعَدُونِي فَبُعْدِي سِيَاحَةٌ - سِيَاحَةٌ لَيْسَتْ سِيَاحَةٌ هِيَ سِيَاحَةٌ مَعَ اللَّهِ وَفِي خَلْقِ اللَّهِ - وَإِنْ سَجَنُونِي فَسَجَنِي خَلْوَةٌ، وَإِنْ قَتَلُونِي فَقَتَلِي شَهَادَةٌ**"، فماذا يصنع أعدائي بي؟

إبراهيم ابن الأدهم كان قلق من جيلة من الساحل السوري، ومدفون هناك فيما أعتقد، ذاق المُلك ثم ترك المُلك، انتهت ولايته، واتجه إلى العبادة والطاعة، وأصبح من العلماء العالمين، فقال بعد أن ذاق الأثنين، المُلك والطاعة والعبادة، قال: " **لَوْ يَعْلَمُ الْمَلُوكُ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ لَقَاتَلُونَا عَلَيْهَا بِالسِّيُوفِ**"، من سكينته، من رضا بقضاء الله " **لِقَاتَلُونَا عَلَيْهَا بِالسِّيُوفِ**" بعد أن ذاق المُلك.

فالألذة تحتاج إلى عوامل خارجية، السعادة تنبع من الداخل.

الأمر الثاني أنَّ اللذة مُتَنَاقِضَةٌ، يعني طارئة و مُتَنَاقِضَةٌ، تأتي وفوراً تنزل، السعادة مُتَنَامِيَةٌ، كيف؟ يعني أنا ليس لدي سيارة، اشتريت سيارة وركنيتها أمام المنزل، كل ربع ساعة أُخْرَجُ إِلَى الشَّرْفَةِ وَأَنْفَقْتُهَا، بعد ذلك كل ساعة، ثم كل يوم أَنْفَقْتُهَا بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بَخِيرٍ، بعد ذلك أول ضربة تكون صعبة جداً، نذهب إلى أول مُصْلِحٍ لِلسَّيَّارَاتِ ثُمَّ الثَّانِي، الضربة الثانية أخف، الضربة الثالثة، ثم تُصِيحُ السَّيَّارَةُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فِيهَا ضَرْبَةٌ أَوْ عَطَلٌ، انتهت، فاللذة مُتَنَاقِضَةٌ، أضخم سيارة وأغلي سيارة بعد حين تُصِيحُ عَادِيَةٌ مُتَنَاقِضَةٌ، بينما السعادة مُتَنَامِيَةٌ تَبْدَأُ صَغِيرَةً، وَكَلَّمَآ كَبُرَتْ بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالسَّرُورِ بِهِ، حَتَّى تَنْتَهِيَ بِجَنَّةٍ يَوْمَ نَعِيمِهَا، **فَالسَّعَادَةُ مُتَنَامِيَةٌ وَاللَّذَّةُ مُتَنَاقِضَةٌ**، فهذا هو الفرق بين سعادة طابعها معنوي، ولذة طابعها حسي، يعني تحتاج إلى أشياء.

وشاء الله تعالى أن تحتاج اللذة من الإنسان إلى وقتٍ وصحةٍ ومالٍ، عناصرها الأساسية وقت وصحة ومال، يحتاج إلى وقت يقضيه حتى يُحَقِّقَ اللذة له، ويحتاج إلى صحة يُعِينُهُ عَلَى ذَلِكَ، ويحتاج مال، وشاء الله تعالى أن لا تنجم هذه الثلاث إلا في النار، ففي مُقْتَبَلِ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ يَجِدُ الصَّحَّةَ وَالْوَقْتَ لَكِنَّهُ لَا يَجِدُ الْمَالَ، وَفِي شِبَابِهِ وَعِنْفَوَانِهِ كَثَلَةٌ مِنْ حَرَكَةٍ، يَجِدُ الْمَالَ وَيَجِدُ صِحَّةً لَكِنْ لَا وَقْتَ، وَقْتَهُ مَشْغُولٌ يَقُولُ لَكَ أَرِيدُ أَنْ أُنْبِي نَفْسِي، كَانَ عِنْدَنَا فِي الشَّامِ تَجَّارٌ مَعْرُوفِينَ، يَعْنِي فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ يَقُولُ لَكَ أَحَدُ التَّجَّارِ الَّذِي عِنْدَهُ مَحَلَاتٌ تِجَارِيَّةٌ، يَقُولُ لَمْ أَغَادِرِ الْمَحَلَّ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَا مَرَّةً، قَالَ لِي أَحَدُهُمْ مَرَّةً، مَا غَادَرْتَ الْمَحَلَّ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً أَرَدْتُ أَنْ أَرْخِصَ سَيَّارَةً وَالتَّارِخِيصَ فِي اللَّادِقِيَّةِ، فَذَهَبْتُ إِلَى اللَّادِقِيَّةِ يَوْمَ وَاحِدٍ، فَإِذَا إِخْطَأْتُ خَطَاً وَاحِدَ ذَهَبْتُ الزَّيَّانِ، فَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا إِذَا كُنْتَ تَقْضِي الْوَقْتَ كُلَّهُ بِالْعَمَلِ؟! هَكَذَا هِيَ طَبَائِعُ بَعْضِ النَّاسِ وَهَذَا خَطَاٌ طَبِيعاً، وَعِنْدَمَا يَتَقَدَّمُ الْإِنْسَانُ فِي خَرِيفِ عُمُرِهِ، وَيُسَلِّمُ الْعَمَلَ لِأَوْلَادِهِ، فَيَجْلِسُ فِي بَيْتِهِ، فَيَمْلِكُ مِنَ الْمَالِ مَا جَمَعَهُ، وَيَمْلِكُ مِنَ الْوَقْتِ مَا يُعِينُهُ، لَكِنَّهُ لَا يَمْلِكُ الصَّحَّةَ، فَكَلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَأْكُلَ شَيْئاً يَقُولُوا لَهُ كُلْ هَذَا وَلَا تَأْكُلْ هَذَا، وَفِي الْمَسَاءِ لَدَيْهِ كَمِيَّةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْأَدْوِيَّةِ يَجِبُ أَنْ يَأْخُذَهَا وَإِلَى آخِرِهِ.

فشاء الله تعالى أن لا يجمع للإنسان كل مُتَطَلِبَاتِ اللذة، فيجدها من جانب ويفقدُها من جانب، يجد المال أحياناً وزوجته لا تُحِبُّ، وعنده عشرة أولاد لكن ليس لديه مال ليقوم على رعايتهم، هذا حال الدنيا ليشتاق للقاء الله، أمَّا السعادة فلا تحتاج إلى كل ذلك، لا وقت ولا صحة ولا مال، تحتاج إلى أنَّ الإنسان يكون موصولاً بالله عزَّ وجلَّ، وإِنَّ مِثْقَالَ عِلْمٍ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَنَرَى هَذِهِ النَّمَاذِجَ الْعَظِيمَةَ مِنْ أَهْلِهَا فِي عَزَّةٍ، تَرَى رِضَاً، وَتَرَى تَسْلِيمًا، تَرَى أحياناً أَنَا سَفَقْتُ كُلَّ شَيْءٍ لَكِنْ تَقُولُ يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ، يَعْنِي هَذَا نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الرِّضَا، وَالَّذِي هُوَ مَكْتَسَبٌ عَظِيمٌ، وَقُوَّةٌ عَظْمَى لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا مَنْ ذَاقَهَا.

فيا أحياناً الكرام، هذا اللقاء هو من باب افتتاحية طبية من بعد غياب، تُذَكِّرُ أَنْفُسَنَا بِالْمَدَامَةِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ بَعْدَ رَمَضَانَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالْمَدَامَةُ عَلَى مَنْهَجِ اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ سَلَامَتَنَا، وَلِأَنَّ سَعَادَتَنَا فِي اتِّبَاعِ مَنْهَجِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا غَيْرَ عِنْدَهُ، وَلَنْ نَصِلَ إِلَى مَا خُلِقْنَا مِنْ أَجْلِهِ وَهِيَ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَنْ تَسْلَمَ، وَلَنْ نَسْعَدَ إِلَّا بِاتِّبَاعِ مَنْهَجِ رَبِّنَا، أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ.

اللهم انصر إخواننا في عَزَّةٍ، اللهم فَرِّجْ عَنْهُمْ، اللهم عليك بعدوهم، اللهم كُنْ لَهُمْ عَوْناً وَمَعِيناً، وَنَاصِراً، وَحَافِظاً، وَمُؤَيِّداً، وَأَمِيناً.

اللهم تولى أمرهم، وأكرمهم، وارفع درجاتهم، اللهم أنزل عليهم من الصبر والتمكين أصعاف ما نزل بهم من البلاء.

اللهم إِنَّ أَعْدَانِكَ يَقُولُوا: مَنْ أَشَدُّ مَنَّا قُوَّةً وَقَدْ غَابَ عَنْهُمْ أَتَّكَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً، فَأَرِنَا عَجَائِبَ قُوَّتِكَ وَقَدْرِكَ وَتَدْبِيرِكَ فِيهِمْ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللهم بارك أهل هذا البيت، واحفظ لهم إيمانهم، وأهلهم، وأولادهم، وصحتهم وأموالهم.

اللهم أطعم من أطعمنا، واسق من سقانا، وأكرم من أكرمنا، وصلِّ إِلَهِي وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.